

تفسير البحر المحيط

@ 52 @ ليكون حذفه أسهل من حذفه مجروراً . والثاني : حذف مضاف به يصح الكلام ،
التقدير : على اتباع الذي هداكموه ، وما أشبه هذا التقدير مما يصح به معنى الكلام . .
والظاهر أن معنى : هداكم ، حصول الهداية لكم من غير تقييد ، وقيل : المعنى ، هدايتكم
لما ضل فيه النصارى من تبديل صياهم ، وإذا كانت بمعنى : الذي ، فالمعنى على ما أرشدكم
إليه من شريعة الإسلام . .

{ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } هو ترج في حق البشر على نعمة الله في الهداية ، قاله ابن
عطية : فيكون الشكر على الهداية ، وقيل : المعنى تشكرون على ما أنعم به من ثواب
طاعاتكم . .

وقال الزمخشري : ومعنى { وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } وإرادة أن تشكروا ، فتأول
الترجي من الله على معنى الإرادة ، وجعل ابن عطية الترجي من المخلوق ، إذ الترجي حقيقة
يستحيل على الله ، فلذلك أوّل له الزمخشري بالإرادة ، وجعله ابن عطية من البشر ، والقولان
متكافئان ، وإذا كان التكليف شاقاً ناسب أن يعقب بترجي التقوى ، وإذا كان تيسيراً
ورخصة ناسب أن يعقب بترجي الشكر ، فلذلك ختمت هذه الآية بقوله : { وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ } لأن قبله ترخيص للمريض والمسافر بالفطر ، وقوله : { يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمُ الْيُسْرَ } وجاء عقيب قوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ * لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ } وقبله { وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ } ثم قال : { وَلَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ } لأن الصيام والقصاص من أشق التكاليف ، وكذا يجيء أسلوب القرآن فيما هو شاق
وفيما فيه ترخيص أو ترقية ، فينبغي أن يلحظ ذلك حيث جاء فإنه من محاسن علم البيان . .
{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي * عَنِّي * فَإِنِّي قَرِيبٌ } سبب النزول فيما قال الحسن
: أن قوماً ، قيل : اليهود ، وقيل : المؤمنون ، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم (:
أقرب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه . وقال عطاء : لما نزل . { وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } قال قوم : في أي ساعة ندعوا ؟ فنزل { وَإِذَا سَأَلَكَ
{ ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما تضمن قوله : { وَلَتَكْبِرُنَّ }
عَلَى مَا هَدَاكُمْ * وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } طلب تكبيره وشكره بيّن أنه مطلع على
ذكر من ذكره وشكر من شكره ، يسمع ندائه ويجب دعاءه أو رغبة ، تنبيهاً على أن يكون ولا
بد مسبقاً بالثناء الجميل . .

والكاف في : سألك ، خطاب النبي صلى الله عليه وسلم (، فكأنه قيل : (أنزل عليك فيه

القرآن ، فجاء هذا الخطاب مناسباً لهذا المحذوف) . و : عبادي ، ظاهره العموم ، وقيل : أريد به الخصوص : إما اليهود وإما المؤمنون على الخلاف في السبب ، وأما عبادي . و : عني ، فالضمير فيه ﷻ تعالى ، وهو من باب الالتفات ، لأنه سبق و : التكبروا ﷻ ، فهو خروج من غائب إلى متكلم ، و : عني ، متعلق بسألك ، وليس المقصود هنا عن ذاته لأن الجواب وقع بقوله : فإني قريب ، والقرب المنسوب إلى ﷻ تعالى يستحيل أن يكون قرباً بالمكان ، وإنما القرب هنا عبارة عن كونه تعالى سامعاً لدعائه ، مسرعاً في إنجاح طلبه من سألته ، فمثل حالة تسهيله ذلك بحالة من قرب مكانه ممن يدعوه ، فإنه لقرب المسافة يجب دعاءه ونظير هذا القرب هنا قوله تعالى : { وَنَزَّحْنُهُ أَلْقَرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلٍ } . وما روي من قوله عليه السلام : (هو بينكم وبين أعناق رواحلكم) . . . والفاء في قوله : فإني قريب ، جواب إذا ، وثم قول محذوف تقديره : فقل لهم إني قريب لأنه لا يترتب على الشرط القرب ، إنما يترتب الإخبار عن القرب .